مصطلح البلاغة بين الفلسفة اليونانية والعربية

سجى فرحان عساف الفهداوي
جامعة الأنبار كلية الهندسة

البريد الإلكتروني Email : Saja.farhan@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الترجمة العربية للفلسفة اليونانية، النقد الأدبي الحديث، الثقافة العربية، الثقافة اليونانية وتحولاتها.

كيفية اقتباس البحث

الفهداوي، سجى فرحان عساف ، مصطلح البلاغة بين الفلسفة اليونانية والعربية،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The term rhetoric between Greek and Arabic philosophy

Saja Farhan Assaf Al-Fahdawi
University of Anbar, College of Engineering

Keywords : rhetoric, Arabic translation of Greek philosophy, modern literary criticism, Arab culture, Greek culture and its transformations.

How To Cite This Article
Al-Fahdawi, Saja Farhan Assaf , The term rhetoric between Greek and Arabic philosophy,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Regarding the research on the term "rhetoric" in Greek and Arabic philosophy Research problem: There is confusion in the translation of the term "rhetoric" from Iudadic philosophy to Arabic rhetoric. "Rhetoric" was translated as "rhetoric," while later Arabic translations corrected it to the term "oratory." This position needs to be addressed in order to identify the flaw in understanding Arabic rhetoric and compare it to Greek rhetoric and oratory.

Research methodology: The research relied on a historical investigation method by comparing the first Arabic translations of Aristotle's philosophy with the Arabic concept of Arabic rhetoric. The research included two sections: the first addressed the issue in linguistic terminology, and the second addressed it in terms of the Arabic and Greek philosophical and rhetorical concepts

Results: The research concluded that the term "rhetoric" in Arabic culture means reaching and conveying meaning, while in Greek culture it means persuasion. From this difference follows a difference in establishing the science between the two cultures. As for the conceptual aspect, we have seen that the correct and appropriate translation of "Rhetoric" is "oratory," not "rhetoric." For this reason, Ibn Sina used the term "marvel" for Greek rhetoric and the term "rhetoric" for the basic term "Rhetoric."
Recommendations: This is an attempt to establish a science or field of knowledge that we can call comparative studies of rhetoric, which can better recognize the differences between cultures in addressing the basic issues related to expression and communication. This can be an introduction to studying the differences between cultures more generally in the field of communication. In addition to this general difference between the two cultures in the concept of rhetoric, there are many other differences related to metaphor, metonymy, eloquence, and others, which are areas that require further detailed study.

ملخص البحث

مشكلة البحث: هناك خلط في ترجمة مصطلح البلاغة من الفلسفة اليونانية إلى البلاغة العربية، إذ تمت ترجمة (Rhetoric) إلى البلاغة بينما تم تصحيحها في الترجمات العربية اللاحقة إلى مصطلح الخطابة، وهذا الموقف نرى أنه بحاجة إلى الوقوف عنده من أجل معرفة الخلل في فهم البلاغة العربية ومقارنتها بالبلاغة والخطابة اليونانيتين.

منهج البحث: اعتمد البحث على منهج تحقيق تاريخي عبر مقارنة الترجمات العربية الأولى لفلسفة أرسطو ومقارنتها بالمفهوم العربي للبلاغة العربية، وتضمن البحث مطلبين أولهما: عالج المسألة في الاصطلاح اللغوي، وثانيهما عالجها في المفهوم الفلسفي والبلاغي العربي واليوناني.

النتائج: توصل البحث إلى أن المصطلح (البلاغة) لغة يعني في الثقافة العربية الوصول والإيصال للمعنى، وأما في الثقافة اليونانية فيعني الإقناع، ومن هذا الفرق ينبع فرق في تأسيس العلم بين الثقافتين، وأما في الجانب المفهومي فقد رأينا أن ترجمة (Rhetoric) الصحيحة والمناسبة هي الخطابة وليس البلاغة، ولهذا وضع ابن سينا مصطلح التعجيب للبلاغة اليونانية ومصطلح الخطابة للمصطلح الأساسي (Rhetoric).

التوصيات: هذه محاولة لتأسيس علم أو مجال معرفي يمكننا أن نسميه الدراسات المقارنة للبلاغة، يمكنه أن يتعرف بشكل أكبر على الفروقات بين الثقافات في معالجة القضايا الأساسية التي تتعلق بالتعبير والتواصل، وهذا ما يمكن أن يكون مقدمة لدراسة الفروق بين الثقافات بشكل أعم في مجال التواصل، وبالإضافة إلى هذا الفرق العام بين الثقافتين في مفهوم البلاغة فهناك فروق أخرى كثيرة تتعلق بالاستعارة والمجاز والكناية والفصاحة وغيرها وهي مجالات بحاجة إلى مزيد من الدراسة التفصيلية.

مصطلح البلاغة بين الفلسفة اليونانية والعربية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد.

فإن البلاغة العربية من العلوم التي يُخيل للبعض بأنها قد أشبعت درسا، وأنها من العلوم التي لم يعد من الممكن إضافة شيء إليها، ولكن العلم لا يعرف حدودا، واللاحق لا بد أن يضيف إلى اللاحق، بما أن العلم يتجدد بتجدد وجهات النظر وتحولها على مر التاريخ.

وقد شعرت وأنا أقلب صفحات من كتب الفلسفة التي ترجمت إلى العربية أن ثمة كتاب لأرسطو يسمى العبارة (Rhetoric) ، وأن هذا العنوان يعني أيضا البلاغة، فتساءلت عن معنى

المصطلح لدى الفلسفة اليونانيين؟، ولماذا تمت ترجمة المصطلح مرة إلى العبارة ومرة إلى البلاغة؟، مع العلم أن بينهما بونا شاسعا في اللغة العربية.

وهذا ما قادني إلى التفكير في مسألة الفرق بين البلاغة العربية واليونانية في مراحل تأسيسها الأولى، عسى أن تسهم القضية التي أحاول إثارتها في إنارة جانب من جوانب البحث البلاغي التأسيسية التي تتناول العلوم في جذورها.

ولهذا تكون البحث من مطلبين توقف الأول منهما عند المصطلح لغة، وثانيهما عنده اصطلاحا في كتب الفلسفة العربية التي ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، ثم ختمته بخاتمة تركز على أهم النتائج والنصائح، ومن ثم بقائمة لأهم المصادر التي استند إليها البحث.

المطلب الأول

البلاغة لغة

١-في اللغة العربية:

البلاغة في اللغة العربية مصطلح مشتق من الجذر اللغوي (بلغ) وهو في المعاجم العربية يعني الوصول والانتهاء، ولهذا يسمى إيصال الخبر إبلاغا له، ولا يشترط الوصول التام للشيء ليسمى بلاغة بل أن المشارفة على الوصول تسمى بلاغة أيضا باعتبار ما سيكون عليه الحال، ويطلق أيضا على الوسيلة فيقال: تبلّغ بالشيء اتخذه وسيلة للوصول، ويستعمل للغاية نفسها فيقال: بلغ مبلغ فلان أي ما وصل إليه سواء أكان هذا الموصول إليه ماديا أم معنويا، كما يطلق المصطلح ليعني الكفاية، ويسمى كلام الله في القرآن البلاغ لأنه رسالة يتم إيصالها إلى السامعين أو غيرهم(١) وبالغ فلان في الأمر: اجتهد فيه؛ وهي تدل هنا على الإكثار من فعل الشيء، ومن هذا الأصل الحقيقي تأتي مجموعة من الاستعمالات المجازية، فيقال: بلّغ الفارسُ إذا مد يده على عنان فرسه ليزيد من سرعته، وبلغ الغلام احتلم حينما يصل سن التكليف أو سن الإدراك، وبلغ النبات انتهى وبلغت النخلة حان إدراك ثمرها، ويقال للشيء أنه بالِغ إذا كان جيدا، والأمر البالغ هو النافذ، ويقال يمين بالغة أي مؤكدة، والبَلَغْنُ الذي يبلغ الناس بعضهم حديث بعض، وتبلغ به مرضه اشتد، وبلّغ الشيب في رأسه أول ظهوره(٢).

ومن هذه الاستعمالات الحقيقية والمجازية نستطيع القول إن دلالات المصطلح تتعلق كلها بالوصول ماديا ومعنويا وإن هناك تفريعات لهذا الوصول بأنحاء شتى:

١-الوصول والانتهاء والمشارفة عليه

٢-الوسيلة المستعملة في الوصول

٣-الغاية التي يراد الوصول إليها.

٤-الكفاية

٥-الرسالة الدينية أو التهديدية أو الوعظية

٦-الاجتهاد والإكثار

٧-الزيادة في السرعة وغيرها

٨-الإدراك والاكتمال في النضج

٩-الجودة

١٠-النفوذ والتمكن

١١-التأكيد

١٢-الشدة

١٣-الوشاية

١٤-الظهور في بدايته

ومن الواضح ان معنى الوصول كامن في جميع هذه الدلالات، مما يقودنا نحو القول إن البلاغة بوصفها وصولا ستهتم بالخطاب لا بالمتكلم ولا بالسامع، أي أنها ستتعلق بالخطاب الذي يتم إيصاله فيوصف بأنه بليغ أي أنه واصل إلى سامعه، وفضلا عن معنى الوصول فأن بعض الدلالات يمكن أن تشترك معه في إنتاج دلالة موسعة، فالكلام البليغ هو الذي يصل إلى السمع مع جودة وظهور ووضوح وباستعمال ألفاظ جيدة وملائمة وهكذا.

٢-في المعاجم الإنكليزية:

إذا عدنا إلى معجم ويبستر للغة الانكليزية فسنجد أن (Rhetoric)، اسم بمعنى الخطابة، والفصاحة وطريقة الإلقاء والإلقاء نفسه(٣)، وتتعلق هذه المجالات بالإلقاء أمام جمهور معين، والمجادلة مع خصم ما حول قضية ما، وبذا نرى أن المصطلح له دلالة جمهورية جدالية كانت هي الأساس في وضع المصطلح في المجتمع اللاتيني الذي كان يهتم بهذا الفن كثيرا لأنه يدور حول الإقناع.

ولكن هذا المصطلح توسع فيما بعد ليشير إلى البيان والفصاحة والمجاز واللغة الأدبية والأسلوب الرفيع والغموض وبديهيات المعلومات وطرق التعبير والعرض ومجمل أساليب النص(٤).

أي أن مصطلح (Rhetoric) كان يشير عند قدامى اليونانيين إلى الخطابة، وما تتشعب إليه من علاقة بالجدل والجمهور والحجج، فهي عند أرسطو مثلا طريقة لتنظيم المادة اللازمة لتقديم الحقيقة وإيصالها عبر الجدل، على الرغم من أن سقراط قبله كان ينظر إليها بوصفها فنا ضحلا

يستعمل كثيرا في السفسطة، لأنها قادرة على تمويه الحقائق وتغيير صورتها(٥)، وهي عند إفلاطون القدرة على الإقناع بخطاب في اجتماع ما(٦).

ومن أجل طبيعة البلاغة عند اليونانيين ارتكز هذا الفن على مجموعة من الأسس التي لا بد من الاهتمام بها وهي:

-البصر بالحجة: إذ يجب أن يتأمل الخطيب في كل حجة يتم طرحها في جمهور ما من أجل إنشاء أسئلة جديدة حولها وتحطيمها، وأما الحجج التي يقدمها الخطيب بنفسه فيجب فيها أن تكون مبدعة لا يمكن اختراقها بحسب الحالة الجدلية وظروف التلفظ.

-ترتيب الأقسام: وتتعلق بالترتيب النصي للحجج وأقسام الخطاب.

-العبارة: وهي مرحلة إخراج الخطاب في كلام، ويشترط فيه أن يكون منظما وصحيحا وواضحا.

-التذكر: وهي عملية تعتمد على عوامل معرفية ويجب أن تتوفر عند صانع الخطاب لأنه مضطر إلى استذكار جميع أجزاء الشيء الذي يريد الحديث عنه مع شروطه وأنواعه وأجناسه وغيرها.

-الإلقاء: وهي لحظة مسرحة الخطاب وتتداخل معها أمور تتعلق بالجسد والإيماء والصوت.

ويسعى الخطيب من خلال هذه الأركان إلى الحصول على إثارة الإعجاب والإقناع والتأثير، وذلك أن الخطاب يتكون من مقدمة وحجاج وخاتمة، ففي المقدمة يجب أن يثير الخطيب إعجاب المستمعين، وفي الحجاج يجب أن يقنعهم، وفي الخاتمة يجب أن يؤثر فيهم(٧).

وبذا يبدو أن مصطلح البلاغة كما تمت صياغته في القرون الوسطى إنما كان يعني (فن القول) أو تقنياته، ويهتم بالمهارات التطبيقية للخطاب بوصفها أداة إقناع، ولهذا تتداخل البلاغة عندهم مع السياسة والقانون والطقوس الديني والمرافعات القضائية والأدب(٨)

المطلب الثاني

مصطلح البلاغة في كتب الفلسفة اليونانية وترجماتها العربية

ما الذي العرب إلى اختيار مصطلح (البلاغة) ليكون مقابلا للمصطلح اللاتيني (Rhetoric)؟

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن أوائل الترجمات العربية لم تكن تترجم المصطلح اللاتيني (Rhetoric) إلى المصطلح العربي (البلاغة) بل كانوا يترجمونه بـ (ريطوري) بالحفاظ عليه كما هو لفظا حرفيا، وهذا ما ورد في أقدم ترجمة وصلت إلينا من الترجمات العربية القديمة وهي ترجمة قد تكون لأحد المترجمين الكثيرين والتي تمت في الثلث الأخير من القرن الثاني بعد الإسلام (بعد عام ١٦٥هـ أي بعد ٧٧٠م تقريبا)(٩)، وهي ترجمة سيئة جدا تكاد تقف عند الترجمة الحرفية مشوهة النص الأصلي بحيث لا يمكنك الوقوف على شيء مفيد فيها، ويقول في

مفتتح المقالة الأولى منها: "إن الريطورية ترجع على الديالقطيقية وكلتاهما توجد من اجل شيء واحد ويشتركان في نحو من الأنحاء"(١٠) ولسنا نعلم لماذا حافظ هذا المترجم القديم على مصطلح الخطابة عند ترجمته من اللاتينية إلى العربية بمصطلح (الريطوري) فقال في باقي مواضع ترجمته للنص: "فلو كانت الريطورية توجد عند جميع الحكام على مثل ما هي عليه الان في خواص المدائن"(١١) وقال في موضع آخر: "التثبيت الريطوري هو التفكير"(١٢) وفي موضع آخر: "والريطورية ذات غناء ومنفعة لأن الصادقات العادلات المنفعة أفضل في الطبيعة من أضدادها"(١٣) وهكذا في باقي المواضع(١٤) وحينما وصل إلى تعريف المصطلح قال عنه: "فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"(١٥).

ولم يستمر الحال على هذا المنوال طويلا إذ ترجم الفارابي (٢٦٠ – ٣٣٩ هـ) (٨٧٤ – ٩٥٠ م) كتاب الخطابة لأرسطو واضعا العنوان (الخطابة) مقابلا لمصطلح (Rhetoric) اللاتيني وقال عنه في مفتتح الكتاب: "الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس العشرة وما يحصل من تلك الأشياء في نفس السامع من القناعة وهي الغرض الأقصى بأفعال الخطابة"(١٦)، ومثله فعل ابن سينا (٣٧٠– ٤٢٨هـ)(٨٨٤– ١١٦٠م) إذ ترجم المصطلح إلى الخطابة فقال: "يجب أن تكون الخطابة التي يتلقاها العامي بعاميته من الجنس الذي لا يسترفعه عن مقامه استرفاعا بعيدا كأنه متعال عن درجة مثله"(١٧) إذ يبدو أن المصطلح تم الاتفاق عليه آنذاك بأن ترجمته الوحيدة الممكنة إنما هي الخطابة.

وهذا ما يدعونا إلى القول أن مصطلح البلاغة قد ظهر إلى ساحة التفكير العربية قبل ترجمات كتب أرسطو، فإنها بدأت تتشكل بشكل منفرد ومستقل بها بعيدا عن تأثيرات المنطق الأرسطي، وقد ترادف مصطلح البلاغة مع مصطلحات أخرى، فنحن نجد أبا جهل قال عن محمد صلى الله عليه وسلم "إن رب محمد لفصيح"(١٨) وكانت مصطلحات الفصاحة والبيان هي السائدة لوصف الكلام المبين الساري على أساليب العرب، ويعنون بمصطلح الفصاحة الإفصاح والإبانة عما في النفس من المعاني، ولكن هذه المصطلحات لم تمنع مصطلح البلاغة من الظهور أيضا فإننا نجد آية قرآنية تتعلق بالقول وهي: "وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا"(١٩) أي قولا يصل إلى أنفسهم، وقال أيضا: "إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين"(٢٠) وكانت العرب تقول: بلغني كذا وكذا، إذا سمعوا خبرا ما، ووردت قصة أخرى عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالمعنى نفسه لمصطلح البلاغة: "إنّما أَنا بَشَرٌ وإنّكمْ تَخْتَصِمُونَ إليَّ فَلَعَلَّ بَعْضَكمْ أنْ يَكونَ أبلغ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فأقْضِي لهُ على نَحْوِ مَا أسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لهُ بَحَقِّ مُسْلِمٍ فإنّما هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النّارِ فلْيَأْخُذْها أوْ لِيَتْرُكْها"(٢١) فكون الحجة أبلغ من أخرى يعني أنها أكثر تقبلا ووصولا إلى السامع،

وهذه النصوص ظهرت في المدة نفسها التي ظهرت فيها المصطلحات الأخرى الموازية، ولكن هناك فرقا بينهما فكأننا حينما نريد الحديث عن علاقة التعبير بنفس قائله نتحدث عن الفصاحة والبيان وحينما نريد الحديث عن وصوله إلى السامع وتفهم الأخير له نتحدث عن البلاغة.

ظل معنى الإيصال متداولا لمصطلح البلاغة حتى وقت متأخر فقد روى ابن ابي الدنيا (توفي ٢٨١هـ) عن أبي جعفر القرشي قوله: (أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت(٢٢)) ويقصد بالبلاغة هنا الوصول أيضا فهو ينصح من يهتم بالدنيا التي لا توصله إلى الجنة بأن يتركها لأنه سيموت ويواجه حسابه، ومثله ما روي عن المازني (١٢٢ – ٢٠٣ هـ)(٧٤٠ – ٨١٩ م) قوله: " وَكَانَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ أَبْصَرَ النَّاسِ بِمَعَانِي الْكَلامِ، مَعَ بَلاغَةٍ؛ حَتَّى صَارَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ يَبْلُغُ بِقَلِيلِ الْكَلامِ مَا لا يَبْلُغُهُ الْخُطَبَاءُ بِكَثِيرِهِ"(٢٣) فالبلاغة التي يمتدحها هنا هي القدرة على الإيصال فقط، ومن الملاحظ أنه معنى لا يتجاوز المعنى المعجمي الأساسي للمفردة.

ويبدو ان مصطلح البلاغة بوصفه فنا متكاملا بدأ يتشكل في الوعي في هذه المدة تحديدا أي بعد بدية القرن الثالث في الإسلام فقد روي عن البحتري (٢٠٦ – ٢٨٤ هـ)(٨٢١ – ٨٩٨ م) قوله يصف بلاغة محمد بْن عبد الملك الزيات (١٧٣ – ٢٣٣ هـ = ٧٨٩ – ٨٤٧ م): (فِي نظام من البلاغة مَا شك ... امرؤ أنه نظام فريد(٢٤)) فقد أصبحت البلاغة عنده نظاما متكاملا وليست مجرد إيصال للمعاني، بدأت البلاغة تحتل ميدانها المخصص لها، وليس من دون التأثر بالأفكار الأرسطية بالتأكيد، ولكن هذا التأثر كان عبارة عن مزيج واسع من بلاغات عديدة هندية وفارسية ورومانية وغيرها كانت تزخر بها الثقافة العربية وهذا ما سنجده واضحا عند الجاحظ هناك حيرة وتخبط وانتشار غير منضبط لمحاولات عديدة لوضع اصطلاحات جديدة تلائم الروح الجديدة التي انطلق بها العرب نحو العالم، فالمبرد (٢١٠ – ٢٨٦ هـ) (٨٢٦ – ٨٩٩ م) وضع كتابا بعنوان (البلاغة) فقد أصبحت البلاغة ميدانا يستحق أن يؤلف حوله كتاب متخصص.

ثم يأتي الجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥ هـ)(٧٨٠ – ٨٦٩ م) ويرد لديه مصطلح البلاغة إلا أن كلامه في هذا الكتاب يدل على أنه واسع الاطلاع على كتب أرسطو وإن لم يسمها ولم ينقل عنها إلا بعض النصوص التي تقترب من الحكم والمواعظ، ولكنه استعرض تعريفات البلاغة عند أمم الهند والفرس والروم واليونانيين والعرب مقارنا بين هذه التعريفات ومبينا أن بلاغة العرب تقوم على الارتجال والبديهة وأنها تعتمد على مبدأ الإيضاح ولهذا سمى كتابه البيان والتبيين(٢٥)، وقد قلنا أن الجاحظ كان مطلعا على كتب أرسطو ولنا أن نسأل: لماذا لم يسم كتابه البلاغة؟

يبدو أن للترجمة نفسها تأثيرا في ذلك فقد فهم الجاحظ ومعاصروه أن البلاغة مختصة بالنثر أو الخطب وأن هناك ما يعمها هي والشعر ألا وهو البيان ولهذا اختار مصطلح البيان لكتابه عاما للصنفين من الكتابة (النثر والشعر)، وهو ما يؤيده كون المبرد الذي سبق ذكره قد وضع كتابه البلاغة بناء على سؤال من أحد الأفاضل: "أحببت أعزك الله أن أعلم أي البلاغتين أبلغ أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع؟ وأيتهما عندك أعزك الله أبلغ؟" ويجيبه المبرد في كتابه: "إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها وأن يُقرَّب بها البعيد ويحذف منها الفضول، فإن استوى هذا في الكلام المنثور والكلام المرصوف المسمى شعرا فلم يفضل أحد القسمين صاحبه فصاحب الكلام المرصوف أحمد لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزنا وقافية والوزن يحمل على الضرورة والقافية تضطر إلى الحيلة وبقيت بينهما واحدة ليست مما توجد عند استماع الكلام منهما ولكن يرجع إليهما عند قولهما فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا وأكثر تسمحا وأقل معاناة وأبطأ معاسرة فيعلم أنه المقدم"(٢٦)

ولم يكن الفلاسفة العرب بعيدين عن هذا التصور فالفارابي الذي ترجم المصطلح إلى الخطابة وضع معه في تقسيمه للمنطق الأرسطي مصطلح البلاغة فقال متحدثا عن كتب أرسطو: "الجزء السابع يشتمل على ما به تلتئم الأشياء التي تسوق الذهن إلى التصديقات الخطبية والكتاب الذي فيه هذا الجزء يسمى كتاب ريطوريقا ومعناه الخطبيات والبلاغيات"(٢٧) وهو يتحدث عن كتاب الخطابة، ومن غير الواضح هنا إن كان مقصود الفارابي التفريق بينهما بناء على التفريق بين الشعر والنثر أو جمعهما في مصطلحين مترادفين، وجمع بينهما على شاكلة أخرى في مدينته الفاضلة فقال: "المدينة الفاضلة أجزاؤها خمسة: الأفاضل وذوو الألسنة والمقدّرون والمجاهدون والماليون، فالأفاضل هم الحكماء والمتعقلون وذوو الآراء في الأمور العظام ثم حملة الدين، وذوو الألسنة وهم الخطباء والبلغاء والشعراء والملحّنون والكتّاب ومن يجري مجراهم وكان في عدادهم""(٢٨) فيجمع بشكل غريب بين الشعراء والخطباء والبلغاء وفي الوقت نفسه يفرق بينهم.

ويأتي ابن سينا ليميز بين الخطابة والبلاغة تفريقا واضحا فيقول: "البلاغة من حيث هي بلاغة يراد بها التعجيب، لا من حيث هي خطابة يراد بها إيقاع التصديق للجمهور"(٢٩) فقد ميز بين الإقناع والتصديق في الخطابة وبين التعجيب في البلاغة التي يكتب بها الأدباء شعرا ونثرا، وعلى هذا يكون ابن سينا مميزا بين البلاغة والخطابة ويكاد يُفهم من هذا التقابل أن تكون البلاغة مختصة بالشعر، وهذا ما يتأكد في موضع آخر حين يقول: "الخطابة لا ينبغي أن يقرن بها وزن وعدد إيقاعي فإن الناس يلحظونها حينئذ بعين الصناعة والتكلف وإنه إنما يفعل فعله لما

صنع عليه من تلك الصنعة وأفرغ فيه من ذلك القالب وأنه من جملة ما صنع ليتعجب منه ويتخيل عنه لا لإيقاع التصديق"(٣٠) فهو يجمع بين التعجيب والتخييل ويجعلهما في مقابل التصديق أو الإقناع، وكأن المسألة تمييز بين الشعر والخطابة.

وهو يوضح هذه العلاقة بين التعجيب والتخييل فيقول: "وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق، ... والتخييل اذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول؛ والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه... والشعر قد يقال للتعجب وحده، وقد يقال للأغراض المدنية"(٣١) فهو أولا يجمع المحاكاة والتعجيب فيصبح التعجيب عنده غاية للمحاكاة، أي أن التخييل هو الأداة والتعجيب هو الهدف كما أن الخطابة هي الأداة والإقناع هو الهدف، فيكون التعجيب والتخييل في ميدان واحد مختص بالشعر مقابل الإقناع والتصديق في الخطابة.

ومن المفيد هنا أن نفهم سر هذا المصطلح وفائدته في الاستعمال، فالتعجيب مشتق من العجب وهو مشاهدة ما يُنكر من الأمور لقلة اعتيادها ولخفاء سببها وقد يترافق ذلك مع حسنها أو سوئها(٣٢) وقد يكون ابن سينا زاد ها المصطلح ليبين الهدف وقد يكون أيضا أراد أن يقرب من مفهوم مصطلح التخييل في ترجمته ويجعله أكثر وضوحا، فالشعر اليوناني يتحدث عن أساطير وقصص خرافية لا يمكن التصديق بها ولذا فإن ما يرد فيها من أحداث يدعو إلى العجب وتكون وظيفة الشاعر إثارة هذا التعجيب.

وبعد هذا التمييز يتجه ابن سينا نحو مقابلة الشعر العربي باليوناني والوقوف على الفرق بينهما فنجده يقول: "وكل محاكاة فأما ان يقصد بها التحسين، واما ان يقصد بها التقبيح، ...والشعر اليوناني انما كان يقصد فيه في أكثر الامر محاكاة الافعال والاحوال لا غير، واما الدواب فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها أصلا كاشتغال العرب، فان العرب كانت تقول الشعر لوجهين: احدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور نحو فعل وانفعال؛ والثاني للتعجب فقط، فكان يشبه كل شيء ليعجب بحسب التشبيه، وأما اليونانيون فكانوا يقصدون ان يحثوا بالقول على فعل، او يردعوا بالقول عن فعل، وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة، وتارة على سبيل الشعر"(٣٣) فيجعل التعجيب من أجل التعجيب مقصورا على العرب لأن العرب تستعمل التخييل والتعجيب إما للحث على فعل أو تركه أو للتعجيب فقط، لأنها ترغب في رؤية التشبيهات والمحاكاة مجردة من هدف التحسين والتقبيح.

إن هذا ليدعونا إلى القول أن المصطلح اليوناني(Rhetoric) لم يكن مقابلا موفقا لمصطلح البلاغة العربية وأن الأنسب ترجمته كما فعل الفلاسفة بالخطابة، لأن الخطابة هدفها الإقناع والبلاغة العربية هدفها التعجيب والتخييل، ومن المعلوم أن التخييل والمحاكاة والتعجيب أساس

في الشعر اليوناني، ولذا يمكن القول أن البلاغة العربية تقترب من الشعرية عند أرسطو لا من الخطابة، ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن مصطلح البلاغة العربية لم يقتصر على الشعر العربي وحده بل تعداه ليشمل كل فنون القول الموزونة وغير الموزونة والتي تقال للتخييل والتي يشوبها الإقناع أحيانا، فمن فنون النثر السجع والمعاتبات والرسائل وهي فنون يشملها مبدأ التخييل والإقناع ويترادفان عليها، ومن الضروري أيضا الإشارة هنا إلى أن الخطب العربية تختلف عن مثيلتها اليونانية فالخطباء العرب يقفون أحيانا في مخاصمات ويقدمون حججهم ولكن هذا ليس الغالب فيهم، بل أن بعض الخطب كان يقال في الزواج وطلب يد العروس من أهلها وبعضها في الصلح وبعضها في الحرب لتشجيع المقاتلين وبعضها في الأمور الوعظية العامة، وذلك أن لفظة خطب تعني تناول الأمور العظيمة بالكلام.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا مصطلح البلاغة لغة واصطلاحا يتبين لنا أن ثمة فرقا بين اللغة العربية واليونانية في تناول هذا المصطلح يتعلق بفكرة الوصول والإيصال التي وجدناها في الثقافة العربية والتي يقابلها الإقناع في الثقافة اليونانية، وينبع هذا الفرق من طبيعة الفن وأماكن دراسته، فقد تناوله اليونانيون في مجالات الجدل والحجاج سواء أكان سياسيا أم اجتماعيا عاما، وتناوله العرب في إيصال الموضوع بشكل معجب.

وهذا الفرق بين الثقافتين هو الذي حدا الفلاسفة العرب إلى الحديث عن علاقة البلاغة بالتعجيب، وإلى الإشارة إلى أن اللفظ اليوناني (Rhetoric)، كان يجب أن يترجم إلى الخطابة بشكل أدق، لأن الخطيب وظيفته الأساسية تتجلى في إقناع الجمهور بموضوع ما وتقديم الحجج عليها ودحر الحجج المناقضة لها.

نرجو بذلك أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا في الوقوف على أهم القضايا التي تتعلق بالفرق بين المصطلح في الثقافتين العربية واليونانية عسى أن يكون هذا الجهد الأولي فاتحة لدراسة البلاغة المقارنة بكل اصطلاحاتها دراسة شاملة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أنوار الأكوان أجمعين.

الهوامش

[١] – القران: هذا بلاغ للناس، سورة:

[٢] – ابن منظور، لسان العرب، ١: ٣٤٦– ٣٤٨.

[٣] – webester, 692.

[٤] – ينظر: معجم البلاغة والأسلوبية، ٩١، وينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ٥٥–٥٦.

[٥] – ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ٦٩– ٧٠.

[٦] – ينظر: معجم تحليل الخطاب، شارودو، ٤٩٠.

[٧] – ينظر: معجم تحليل الخطاب، شارودو، ٤٩١– ٤٩٢.

[٨] – ينظر: معجم الأسلوبيات، كاتي وايل، ٥٨٩– ٥٩٠.

[٩] – ينظر: محقق الكتاب ومقدمته ي.

[١٠] – أرسطو، الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ٣.

[١١] – أرسطو الخطابة، ٤.

[١٢] – أرسطو، الخطابة، ٦.

[١٣] – أرسطو، الخطابة، ٧.

[١٤] – ينظر: أرسطو، الخطابة، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، وغيرها.

[١٥] – أرسطو، الخطابة، ٩.

[١٦] – أرسطو، الخطابة، ترجمة الفارابي، ٧.

[١٧] – ابن سينا، المنطق، ٧٩٠.

[١٨] – القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى ن الفساد، ٣٣٠.

[١٩] – القرآن، سورة النساء، آية ٦٣.

[٢٠] – القرآن، سورة الأنبياء، آية ١٠٦.

[٢١] – البخاري، صحيح البخاري، برقم ٢٤٥٨، في ١٣١/٣.

[٢٢] – ابن أبي الدنيا، القبور، ١٥٢/١.

[٢٣] – أبو بكر الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ٣٣٥/٤.

[٢٤] – ديوان البحتري، ١: ٢٠٦.

[٢٥] – ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١: ٩١.

[٢٦] – المبرد، البلاغة، ٨٠– ٨١.

[٢٧] – الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، ١٠٦.

[٢٨] – الفارابي، فصول منتزعة، ١٨.

[٢٩] – ابن سينا، المنطق، ٨٧٠.

[٣٠] – ابن سينا، المنطق، ٨٧٤.

[٣١] – ابن سينا، المنطق، ٨٨٥.

[٣٢] – ابن منظور، لسان العرب مادة عجب .

[٣٣] – ابن سينا، المنطق، ٨٨٩.

المصادر والمراجع

-القران الكريم

١.الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢.

٢.الألفاظ المستعملة في المنطق، الفارابي، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٣.البلاغة، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥..

٤.البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨.

٥.الخطابة الترجمة العربية القديمة، أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت، ووكالة المطبوعات الكويت، د.ط، ١٩٧٩.

٦.الخطابة، أرسطو، ترجمة الفارابي، تحقيق محمد سليم العوا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦.

٧.ديوان البحتري، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة هندية، مصر، د.ط، ١٩١١.

٨.صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩.فصول منتزعة، الفارابي، تحقيق فوزي متري نجار، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠.القبور، أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، تحقيق طارق محمد سلكوع العمود، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ٢٠٠٠.

١١.لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢.المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم ، بيروت، جمعية التربية الاسلامية، البحرين، ط١، ١٤١٩هـ.

١٣.معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة خالد الأشهب، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

١٤.معجم البلاغة والأسلوبية، حسن سيد غزالة، دار إيغلا، مالطة، ط١، ٢٠٠٠.

١٥.معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥..

١٦.معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٦.

١٧.معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط١، ٢٠٠٨ .

١٨.المنطق، ابن سينا، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، إيران، ١٤٠٥هـ.

١٩..1-webester,handy dictionary, fourth edition Philip D. Morehead, 2000

sources:
1. Informing of the Corruption and Delusions in the Christian Religion and Showing the Virtues of Islam, by Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubi, edited by Ahmad Hijazi al-Saqa, Dar al-Turath al-Arabi, Cairo, 1st ed., 1982.
2. Terms Used in Logic, by al-Farabi, edited by Mohsen Mahdi, Dar al-Mashreq, Beirut, 1st ed., 1990.
3. Rhetoric, by Abu al-Abbas Muhammad ibn Yazid al-Mubarrad, edited by Ramadan Abd al-Tawab, Library of Religious Culture, Cairo, 2nd ed., 1985.
4. Al-Bayan wa al-Tabyin, Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 7th ed., 1998.
5. Rhetoric: The Ancient Arabic Translation of Aristotle, edited by Abd al-Rahman Badawi, Dar al-Qalam, Beirut, and the Kuwait Publications Agency, 1st ed., 1979.
6. Rhetoric, Aristotle, translated by al-Farabi, edited by Muhammad Salim al-Awa, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2nd ed., 1976.
7. Diwan al-Buhturi, edited by Abd al-Rahman al-Barquqi, Indian Press, Egypt, 1st ed., 1911.
8. Sahih al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah al-Bukhari, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najah, Damascus, 1st ed., 1422 AH.
9. Extracted Chapters, al-Farabi, edited by Fawzi Mitri Najjar, Dar al-Mashreq, Beirut, 1st ed., 1405 AH.
10. The Graves, Abu Bakr Abdullah ibn Abi al-Dunya, edited by Tariq Muhammad Salku' al-Amud, Library of Strangers Antiquities, 1st ed., 2000.
11. Lisan al-Arab, Muhammad ibn Makram ibn Ali ibn Manzur, Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
12. Al-Majalisah wa-Jawahir al-Ilm, Abu Bakr Ahmad ibn Marwan al-Dinuri, edited by Abu Ubaidah Mashhur ibn Hasan Al Salman, Dar Ibn Hazm, Beirut, Islamic Education Society, Bahrain, 1st ed., 1419 AH.
13. Dictionary of Stylistics, Katie Wiles, translated by Khaled al-Ashhab, Center for Arab Unity Studies, Arab Organization for Translation, Beirut, 1st ed., 2014.
14. Dictionary of Rhetoric and Stylistics, Hassan Sayyid Ghazala, Dar Igla, Malta, 1st ed., 2000
15. Dictionary of Contemporary Literary Terms, Saeed Alloush, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, and Sochepress, Casablanca, 1st ed., 1985.
16. Dictionary of Literary Terms, Ibrahim Fathi, Workers' Solidarity Publishing, Tunis, 1st ed., 1986.
17. Dictionary of Discourse Analysis, Patrick Charaudeau and Dominique Menghinot, translated by Abdelkader Al-Mahri and Hamadi Samoud, Sinatra House, National Center for Translation, Tunis, 1st ed., 2008.
18. Logic, Ibn Sina, Publications of the Marashi Najaf Library, Iran, 1405 AH.